الفصل الثامن

خبراء في كل شيء

إن الخبراء مهمون بالنسبة لعملي. نحن دائماً نبحث عنهم حين نهيئ التقارير، وأنا راضٍ ومسرور من رغبتهم في إعطاء وقتهم والمشاركة في المعرفة. الأنا تلعب دوراً في الموضوع لأن الأغلبية منهم تريد «الظهور» على شاشة التلفاز ولكن ليس الموضوع حول الأنا وحسب، فإن مجال خبرتهم مهم بالنسبة لهم ويريدون أن يتثبتوا أننا «نتلقى تلك الخبرة بشكل صحيح».

ولكن الوصول إلى الخبير المناسب قد يكون شاقاً إذ يوجد الكثير من الدجالين والمدعين بيننا. والمعتوهون الغريبو الأطوار هم غالباً الذين يثيرون ضجة، وفي الواقع أنا واثق أن الخبرة تتناسب عكساً بين كمية الدعايات التي يقدمها «خبير» والوقت الذي يمضيه في التلفاز. لقد تعلمنا أن ننظر إلى ما وراء البزات النظامية والمنشورات الرسمية والياقات الكهنوتية والمكاتب المصنوعة من خشب الماهوغاني لنتصور إن كان الشخص يعرف عم يتحدث. بعض الخبراء الكاذبين هم جد مقنعين، وجد عفويين مما يجعل ما لا معنى له مما يقولون يبدو معقولاً.

خرافة: يستطيع الخبراء أن يشفوا المثلية الجنسية
حقيقة: الخبراء يضللون أنفسهم

إن تعبير «قل لا فقط» يستعمل عادة في موضوع «المخدرات» ولكنه الآن يستعمل في موضوع المثلية الجنسية لأن بعض «الخبراء» يقولون أنْ يكون الإنسان مثلياً جنسياً هو خيار وأي شخص بوسعه أن يقول لا.

معظم هؤلاء «الخبراء» هم رؤساء جماعات دينية تقدم برامج علاج تدعي أنها تساعد المثليين الجنسيين كي يتصلوا بنفوسهم الداخلية المتغايرة. وقد برهنت

الحركة أنها ذات جاذبية قوية لألوف من الرجال والنساء الذين يريدون أن يكونوا «طبيعيين»، وقد قدم لنا المعالجون في أشرطة فيديو مسجلة أدلةً من أناس يدعون أن الأمر نجح معهم.

رجل: قبل عقد من الزمن نجوت من المثلية الجنسية بقدرة المسيح.

امرأة أولى: لقد عانيت من ذلك مدة ست سنوات.

امرأة ثانية: أما أنا فأربع ثم نجونا من ذلك الموضوع.

أردت أن أقابل بعض هؤلاء الناس الذين «نجوا من ذلك» لأطرح عليهم أسئلتي الخاصة.

أكبر تلك الجماعات يدعى Exodus International. سمت نفسها هكذا بعد الاطلاع على كتاب في التوراة يفصّل تحرر الإسرائيليين من العبودية. تقول إيكسودوس: «بنفس الطريقة يتقاسم الناس الذين عانوا تجربة التغير من المثلية الجنسية قصصاً مشابهة لتلك المذكورة في التوراة تذكّر كيف تحرروا من أمر ما كانوا يشعرون أنهم عبيد له». حين سألت إيكسودوس أن أجري مقابلة معها قالوا إنه علي أن أتحدث مع شخص نجح في التحول من شاذ جنسياً إلى شخص سوي يدعى ألان شامبرز.

ستوسل: كنت شاذاً جنسياً ولكنك لست كذلك الآن.

ألان شامبرز: لم أعد شاذاً الآن.

ستوسل: كان هذا أمراً جديداً تعلمته؟

الان شامبرز: نعم لقد كان انتقالاً إلى الرشد في سن الخامسة والعشرين.

يقول شامبرز إنه في الطريق القويم منذ خمسة عشر عاماً حتى الآن وقد تزوج منذ ثمان سنوات والآن هو رئيس لجماعة إيكسودوس.

ستوسل: الرجال الذين كانوا يثيرونك لا يؤثروا فيك الآن أليس كذلك؟

الان شامبرز: نعم لا يؤثروا.

ستوسل: والنساء غيّروك أليس كذلك؟

الان شامبرز: زوجتي غيّرتني.

ستوسل: بوسعك أن تختار رفض تلك المشاعر؟

الان شامبرز: نعم.

تقول إيكسودوس والبرامج المماثلة لها إن الله يغيّر الناس بالصلوات ـ الله إلى جانب مساعدة العلاج الجماعي والعلاج بالتكريه يعلم أحد البرامج مثلاً: «إن كان عندك أفكار جنسية مثلية تنشق أمونيا» بعض البرامج تقول للشاذ جنسياً «مارس الرياضة» وللنساء السحاقيات «استعملن مستحضرات التجميل».

أنا مرتاب. إن القول بأن الشواذّ جنسياً يستطيعون أن يختاروا الطرق المستقيمة معناه أنهم اختاروا أن يكونوا شواذ. لا أصدق أن أي أحد اختار أن يكون شاذاً. إنه لأمر صعب أن يكون المرء شاذاً جنسياً. يعرف الأولاد أن الأهل سوف ينزعجون وأن الزملاء ورفاق المدرسة قد يضحكون منهم إن لم ينهكوهم بالسخرية. إن اقتراح أن الشواذ الجنسيين يمكن أن يعودوا طبيعيين بمجرد أن يحاولوا يبدو مستحيلاً. لقد جرب العديد منهم مدة سنين طويلة وبمشقة كي لا يكونوا شواذ جنسياً قبل أن يقبلوا ذلك لأمر. قد يتعلم الشواذ أن يكبتوا مشاعر المثلية الجنسية ولكن أن يكونوا مستقيمين تماماً؟ لا أظن ذلك.

ولكن إيكسودوس أذهلت الناس «بقصص ناجحة» مثل قصة الشاب المكلف بالإعلان (جون بولك) الذي يدعي في أحد شرائط فيديو إيكسودوس.

«لقد تركت المثلية الجنسية مدة أربعة عشر عاماً وتزوجت منذ ثماني سنين». بولك الذي كان رئيس إيكسودوس حين سجل شريط الفيديو ذاك غالباً ما كان يُجري مقابلات حول نجاحه. هو وزوجته التي كانت سحاقية أصبحا قصة الغلاف في مجلة نيوزويك. وقد صور تحوله في برنامج (أوبرا) وفي برنامج (60 دقيقة) ولكن بعض المدافعين عن حقوق الشواذ اتهموا بولك أنه تناول شراباً في بار للشواذ في واشنطن DC وحين أرادوا أن يصوروه هرب .

قال فيما بعد إنه لم يكن يعرف أن ذلك البار خاص بالمثليين جنسياً وأنه أراد أن يستخدم الحمام فقط. ولكن بعد ذلك قَبِل أن قصة الحمام كانت كذبة ولكنه قال إنه لم يذهب إلى هناك من أجل الجنس. وأنه أراد فقط أن يرى «كيف كان المشهد».

عندما ضغطت على جماعة إيكسودوس أن يدعموا ادعاءهم بأن «الألوف نجحوا في التغيير» قالوا إنهم لم يحتفظوا بالسجلات قالوا لنا: «من غير المعقول الاحتفاظ بذلك» هذا غريب. لو كنت «غيّرت ألوفاً» لكنت أُوثّق ذلك.

على أية حال لم نجد كبير مشقة في لقاء أناس حاولوا التغيير ولكنهم أخفقوا. البعض قام بجهود جدية فاجعة دون نجاح. قالت إحدى النساء: «أردت قبول أسرتي للموضوع في الأساس» إنها عضو في أكبر كنيسة طائفة من الجنسين المثليين في البلاد وهي كاتدرائية الأمل في دالاس (يؤمها 1.700 مستمع تقريباً). شاهدنا في صبيحة الأحد عميدهم الموقر مايكل بيازا نظر إلى جماعة الكنيسة وسأل: «كم منكم حاول بطريقة ما في حياته ألا يكون شاذاً؟»

معظم الناس في الكنيسة رفعوا أيديهم. بعد ذلك ذكر لي بعضهم كيف حاولوا أن يدخلوا في جماعة إيكسودوس وفي برامج أخرى بأمل أن يهربوا «مما أصبحوا فيه» إن المثلية الجنسية خرقت معتقداتهم الدينية وقال لهم «الخبراء» إنهم لا يستطيعون في الواقع أن يصبحوا شواذ.

الرجل الأول: أنت تعرف «ما كان الله ليخلق الشخص شاذاً» أنت تعلم؟ «كم ذلك مخيف» أنت تعلم؟

الرجل الثاني: «الله لا يرتكب أغلاطاً».

المرأة الأولى: حسناً إنه أمر مسلم لأنه كان خطيئة أعني هذا هو المبدأ الأساسي.

جون ستوسل: لا أحد عليه أن يكون جنسياً مثلياً

المرأة الثانية: صحيح ـ صحيح

الرجل الثالث: إنك تنهي البرنامج وتصبح متغير الجنس أنت تعرف ـ إنك سوف تعيش حياة سعيدة تحقق الحياة التي ـ أنت تعرف ـ يعيشها كل امرئ آخر.

ستوسل: وهل كان ذلك ذا جدوى؟

المرأة الأولى: لا إن الأمر لم ينجح.

ستوسل: هل أخفق الأمر لديكم جميعاً؟

المرأة الأولى: نعم

الرجل الثالث: يا للبؤس

ستوسل: ربما لم تحاولوا بما فيه الكفاية؟ هل صليتم بما فيه الكفاية؟ ألم تحاولوا بما فيه الكفاية لتكونوا في الطريق القويم؟

الرجل الثاني: حسناً يمكنك أن تصلي من أجل الحصول على عينين عسليتين وليس معنى ذلك أن تستيقظ في اليوم التالي وتكون عيناك عسليتين.

الرجل الرابع: إن رئيس الجماعة التي كنت فيها غير رأيه في إحدى المراحل وحاول أن يغويني.

بالنسبة للبعض الذين يحاولون تغيير توجههم الجنسي كان الأمر مؤلماً جداً إلى حد أنهم أرادوا أن يضعوا حداً لحياتهم.

ستوسل: هذا يقود العديد منكم إلى التفكير في الانتحار؟

الرجل الأول: نعم

الرجل الثاني: نعم

المرأة الأولى: نعم

ستوسل: تقريباً جميعهم يهز رأسه بالإيجاب

المرأة الأولى: لم أعد أتحمل أن أخيب أسرتي أكثر من ذلك.

الرجل الثالث: كأن الأمر كما يلي: «ما خطبي؟ لم لا يتوقف ذلك؟ لم أنا سيئ إلى هذا الحد؟» والشعور بالذنب يعزز ويعزز.

الرجل الرابع: إنك تذكّر مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع بأنك ناقص، ثمة خلل أو عيب فيك وأن فيك شيء يكرهه الله. وأنك لا تستطيع أن تبقى عشر سنين دون أن تتأذى.

لخص الموقر بيازا الموضوع بأسلوبه اللبق قال لنا: «لدينا ألوف ممن كانوا مثليين جنسيين» وأردف «علموهم الكبت الكبت النفسي والعاطفي. والآن من يعتقد أن هذه الطريقة صحية يجدر به العودة إلى المدرسة».

خرافة: يعرف «الخبراء» حين يظهرون على التلفاز كيف ستتحرك الأسهم

حقيقة: أعطِ ذاك الخبير موزة

تاريخياً كان وضع النقود في سوق الأسهم حركة جيدة. فالأسهم ترتفع وتنخفض ولكن في النهاية معظمها يرتفع وهكذا إن أنت استثمرت وثابرت فمن الأرجح أنك ستنجح.

وكما قال لي أستاذي في برنستون البروفسور الاقتصادي بورتون مالكييل «إن سوق الأسهم أشبه ما تكون بنادي القمار مع فوائد هي لمصلحتك وعلى المدى الطويل تهزم التضخم بمقدار كبير.» وهكذا إن كانت سوق الأسهم استثماراً جيداً من المنطقي أن نفكر أن استثماراً ممتازاً يمكن الحصول عليه باتباع نصيحة «الخبراء». في محطة CNBC وبرامج النصائح المالية الأخرى يظهر الخبراء ويبدون أهلاً للثقة:

- «الدراجات والسيارات ـ انسها إنها لن تحقق أي (رالي). أنا أبيعها لو كانت ما تزال معي».
- «انتهى الأمر مع شركة IBM»
- «أظن أن شركة pfizer لديها متسع لتزيد 30 بالمئة خلال ستة أشهر».

هؤلاء رجال ونساء يعيشون من دراسة الأسهم، وهكذا فإن المرء يفكر أن اتباع نصيحة هؤلاء الخبراء يساعد على ارتفاع قيمة الاستثمارات أكثر. هنا أتدخل أنا وأحدث شجاراً.

أنا لست وحدي. يقول جيم كريمر: «معظم الفتيان على التلفاز ـ ليسوا جيدين كريمر يعلم ذلك: إنه هو نفسه يظهر على تلفاز CNBC وله موقع على الإنترنت Thestreet.com. كريمر نفسه يعرف عنه بأنه لا يحبس لسانه تحت أي ظرف من الظروف، ولكنه يقول على الأقل ليس لديه دوافع مخبأة. والعديد من المتحدثين الآخرين في التلفاز يعملون لصالح شركات تتعامل مع الشركات التجارية ذات الأسهم

المتداولة. لديهم باعث لتعزيز تلك الشركات. قال لي كريمر: «أظن أنك إن عرفت أن شركاتهم كانت تتلقى مبالغ من الشركة الكبيرة فقد يساعدك هذا على وضع حكم أفضل وأكثر حكمة».

جيم كريمر: يظهر رجل ما في برنامج تلفازي: يفكر الشخص الجالس في المنزل: «هذا شخص راقب الشركات كلها ووضع أحكاماً حول أفضل الأسهم» هذا خطأ خطأ! وأسوأ منه الرجال الذين يقولون إنهم يحبون سهماً. وإنهم يبيعون السهم هذا يحدث طوال الوقت.

ستوسل: أعني أن هذا كذب على الناس. إن هذا خداع لهم.

جيم كريمر: انظر إن هذا جزء من العملية

جزء من العملية: يذهب خبير إلى التلفاز ليقوم بالدعاية لسهم لأنه يريدك أن تشتري كميات كبيرة بسعر زهيد. معظم النزاعات هي إما أقل فساداً، ويمكنك أن تسميها حينئذ طبيعة إنسانية ـ فالناس يزكون بعض الناس أو يزكون شركات يعرفونها. وإما أن تكون النزاعات أكثر فساداً: وهي تزكية شركات يقيمون معها أعمالاً تجارية.

في أحد فصول الربيع وضع غولدمان ساشس قائمة بالشركات التجارية الاقتصادية e-commerce التي ستنجح غالباً. سبع من ثمان كانوا في قمة المرشحين ويا للمفاجأة ـ إنهم زبائن غولدمان ساشس. قد تكون قد تعلمت حول العلاقات بين الشركات تلك في تقارير الأبحاث لكنها تطبع في خط صغير جداً وفي النهاية من يقرأ ذلك؟

إن معظم المتنبئين بحركة الأسهم يقدمون تخمينات صادقة دون محاباة أصدقائهم وتجارتهم ولكن «الخبراء» ليس عليهم أن يدخلوا في نزاعات تجعلك تخسر نقودك.

قال لنا ديفيد تاليفي: «انتهى الأمر بأني خسرت أكثر من أربعين ألف دولار». كان هذا مقدار راتب تاليفي مدة سنة كاملة وكان يدير بقعة تتجمع فيه المقطورات في ويلز من ولاية مين. وقد أضاعها بشرائه أسهماً مدحوها وزكّوها في التلفاز. قال: «إنك تأخذ كلامهم أمراً مفروغاً منه» وقال «لقد تخيلت أن تلك الأمور ستثمر» ولكن بدلاً من ذلك تحطمت وتاليفي خدع وتدمر.

كيف يمكن أن يكون خبراء التلفاز على هذه الدرجة من الخطأ؟ إنهم جميعاً مثقفون جيداً يتصلون بالشركات ويزورونها ويدرسون نشرات الموازنة والمنتجات الجديدة وتقنيات التسويق. إنك لتظن أن هذا ينبغي أن يعطيهم تفوقاً ومزايا. إلا أن ذلك لا يتم كما يقول الأستاذ في برنستون البروفسور مالكييل لأن ما تعلموه من معلومات يعرفها جميع المحللين. كتب مالكييل كتاباً حول العملية عنوانه (سير عشوائي في وول ستريت) درس فيه حركات الأسهم في الماضي واستنتج أن النصيحة التي يصل إليها خبراء في منظمة أو شركة لها قيمة ضئيلة. قال لي: «إن معظمها هراء مطلق» وقال: «إن معظمها صُمّم في الواقع لجعل الشعب يتداول الأسهم أكثر مما ينبغي».

إن شركات السمسرة تريدك أن تتداول الأسهم أكثر لأنها تأخذ عمولة على كل تداول. ولكن مع أن أرض ناطحات السحاب مليئة بالناس الذين يحللون الأسهم المالية فإن النصيحة التجارية التي تبرز سنة بعد سنة من معظم شركات السمسرة ليست أفضل في اختيار الأسهم الرابحة من انتقائها بصورة عشوائية أو جعل قرد يختارها. وفي الواقع أن النصيحة هي عادة أسوأ! اعلم أن هذا صعب أن يُصدق ولكن الناس الذين يخططون توصيات شركات السمسرة يقولون إن هذه هي الحقيقة.

«دعنا ننظر إلى الأعداد» كما يقولون في البرامج المالية. على مدى خمسة عشر سنة تنتهي في 31 تشرين أول 2005 (وهي أحدث أرقام أثناء هذه الكتابة) هناك فقط 5.72 بالمئة من الموارد المالية المتبادلة المُدارة بشكل فعال هزمت الـ 500 سهم الذي يشكل standard and poor`s index بمعنى آخر 94 بالمئة كان عملها أسوأ. وعلى مدى خمسة عشر سنة كان عندك 94 بالمئة من الفرص لجلب المال إن كنت تجاهلت النصيحة من أولئك المهنيين ذوي الرواتب العالية من محللي الأسهم.

ستوسل: هكذا إذاً جميع هؤلاء الخبراء يخدعون أنفسهم؟

البروفسور مالكييل: ذلك أشبه بالتخلي عن الاعتقاد بوجود سانتا كلوز. مع أنك أنت تعرف أن سانتا كلوز غير موجود فإنك تحب أن تتعلق بهذا الاعتقاد. الآن أنا لا أقول إن ذلك خداع. إنهم يعتقدون بصدق أنهم يستطيعون فعل ذلك.

والدليل هو على أية حال أنهم لايستطيعون. لم تتحدث معي أي من الشركات الكبيرة عن إخفاقها في التفوق على أداء القرود في اختيار الأسهم. وهكذا أجريت مقابلات مع مدير مالي ناجح يدعى روبرت ستوفال. كان يدير أقسام البحوث في EF Hntton وDean witter Reynolds وقد دافع عن الخبراء... على نحو ما.

روبرت ستوفال: إن ثلث المديرين الماليين يسبقون السوق كل سنة.

ستوسل: ثلثان يفعلان الأسوأ!

روبرت ستوفال: ثلثان يفعلان الأسوأ ولكن في كل مرة ثلثان مختلفان.

ستوسل: لماذا لدى شركات السمسرة هذه أقسام كبيرة للبحث إذا كانت لا تحصّل نقوداً؟

روبرت ستوفال: كل شخص له رب عمل. وما كان المهنيون ليشترون أسهم كوكاكولا أو أسهما أخرى إلا إذا كان لديهم تقارير في الملف الذي يضعه محللون معروفون وهكذا إذا جرت الأمور بشكل سيئ في الأسهم التي يشترون، يستطيعون عرضها على أرباب عملهم ويقولون: «لقد جلبت ملفاً كبيراً عن هذا السهم. جميع هؤلاء المحللين قالوا إنه كان جيداً. ولكن شيئاً ما جرى على غير ما يرام» يعرف هذا بأنه احتراس وتعقل.

ستوسل: إذاً حتى لو كان البحث سخيفاً فإنه يحميهم.

روبرت ستوفال: هذا صحيح.

هذا هو السبب بأني أستثمر في صناديق الادخار، تكاليفها أخفض دون تجارة غبية. في المرة القادمة إذا سمعت الخبراء يتكلمون في التلفاز ويقدمون باعتداد توقعاتهم اجلب الرفش وأفضل من ذلك اجلب قرداً ومعه رفش.

خرافة: يستطيع المعالج Chiropractor اليدوي (معالج للأمراض بتقويم العمود الفقري يدوياً) أن يشفي ولدك من الربو
حقيقة: خذ ابنك واهرب.

يدعي هؤلاء المعالجون اليدويون أنهم يعرفون كيف يعالجون ألم الظهر. من الصعب معرفة إن كانوا حقاً يستطيعون ذلك، لأن ألم الظهر يأتي ويذهب وحده دون تدخل وبشكل مستقل. بعض الأطباء يقولون إن هؤلاء المعالجين للظهر بتقويم العمود الفقري لا يعرفون ماذا يفعلون. ولكن بعض الأطباء أيضاً لا يعرفون ماذا يفعلون فمن يستطيع الحكم؟

ما هو مقلق هو أن العديد من هؤلاء المعالجين يدّعون أنهم يستطيعون أن يساعدوا المرضى في مشكلات يبدو أنها لا علاقة لها مع الظهر. والبعض وسّع ممارساته حتى تصدت لأمراض الأطفال مثل نزلات البرد وإنتان الأذن والربو والبول في الفراش وأكثر من ذلك.

تسهم الشركات في تعليم هؤلاء المعالجين باليد كيف «يعززون ممارستهم». إحدى الشركات طلبت إلى هؤلاء المعالجين أن يقدموا شرحات لحم مجانية على العشاء للأهل الذين ينصتون لعلاجهم. ويحصل الأطفال على كتب ملونة تبين متع العلاج اليدوي.

يدعي المعالجون اليدويون أن علاجاتهم أفضل لأنها «طبيعية» وهذا يعجب الكثير من الأهل ـ علاجات غير مهددة ـ لا حبوب ولا حقن ولا دواء ولا جراحة.

يقول المعالجون اليدويون إن تقويم العمود الفقري يخلّص مما يدعونه «الخلع الجزئي» الذي ينجم عن خروج العظام عن الخط المستقيم مما يضغط على الأعصاب. إنهم يدعون أن ذلك يسمح «بالرسائل أن تجري بحرية من الدماغ» وتدع الجسم يشفي نفسه. قال لي الدكتور موراي كاتز من كيبك: «كل ذلك هراء وأساليب (تكتيك) مخيفة». كان هذا الدكتور مديراً لأكبر مراكز طب الأطفال في أمريكا الشمالية. وأصبح شديد الاهتمام بما كان يعد به «خبراء» العلاج اليدوي. كاتز كان واحداً فقط من بين العديد من الأطباء المرتابين ولكنه كان على غير عادتهم يخصص وقتاً ليدرس حقاً ماذا يفعل العلاج اليدوي. وخصص وقتاً لزيارة جامعات المعالجة اليدوية وحضور المقررات فيها. وانضم إلى الجمعية الدولية للمعالجة اليدوية في طب الأطفال. وخرج من ذلك كله مرتاباً عديم التصديق.

قال لي «المرضى لا يتحسنون». وأضاف قائلاً «يؤمن الناس بأنهم يتحسنون. نحن نعلم أن إنتان الأذن يمكن أن ينتهي في يومين. ونعلم أن هجمة الربو يمكن تتوقف فجأة. ونعلم أن التبويل في الفراش ـ يتوقف في آخر الأمر عند الكبر».

إن توقف الولد عن التبويل في الفراش بعد مراجعة المعالج اليدوي تجعل الأهل يثقون بهذا المعالج. ولما كان الأولاد يراجعون المعالجين اليدويين من أجل تكرار العلاج يكون لدى هؤلاء المعالجين فرصة قوية لنيل ثقة الأهل في الوقت الذي يكون المرض تراجع بذاته دون تدخلهم. أجريت مقابلات مع بعض الأهالي ـ منها في مكتب الدكتور لاري وبستر في اتلانتا ـ الذي كان مقتنعاً أن المعالج اليدوي كان خبيراً في الشفاء «الطبيعي». كان لدى هؤلاء المعالجين الذين شهدناهم أسلوب رائع في الفحص السريري. كان دكتور وبستر يلعب مع الأولاد ويصرف أوقاتاً كثيرة لشرح الأمور. والأهل يحبون ذلك والعديد منهم كان يرتاد المعالج اليدوي وحده ولا يذهب إلى أطباء آخرين.

ستوسل: هل تذهبون إلى طبيب أطفال أيضاً؟

أم: لا أذهب إلى طبيب أطفال.

ستوسل: ابنك إذاً لم يأخذ اللقاحات اللازمة؟

أم: لا أبداً.

هذا تفكير مخيف. إن كان الأهل يقتصرون على إعطاء الطفل علاجات «طبيعية» دون لقاح فنحن على الأرجح سوف نعاني من تفشي السعال الديكي والحصبة والأمراض الأخرى التي وضعت اللقاحات حداً لها.

ادعى دكتور وبستر أنه شفى الصمم عند الأولاد.

دكتور وبستر: ربما كان أكثر الأمور إثارة (درامية) معالجتي لطفل من ساو باولو. إنه الآن يسمع بشكل طبيعي.

ستوسل: هل أستطيع التكلم مع هذه الأسر؟

دكتور وبستر: حسناً إن ذهبت إلى ساوباولو في البرازيل أنا لا أعلم

ستوسل: نستطيع أن نجري مكالمة هاتفية مع البرازيل

دكتور وبستر: بالتأكيد حسناً لا يوجد مشكلة أبداً.

عندما توقفت الكاميرا قال إنه لم يجد الرقم.

إن العديد من المعالجين اليدويين للأطفال تأثر بشخصين يدعوان نفسيهما «مقومي الأطفال» وهما بالمر وجنيفر بيت. إنهم يُريان الآخرين كيف يروجان ممارستهما بشتى الأمور مثل تقديم القمصان المجانية T. Shirts وكيف يقومان «بالتعديلات» في العمود الفقري للأطفال بطريقة تجعل أجسامهم «تشفي نفسها بنفسها» مما يجعلهم يتخلصون من إنتانات الأذن والنزلات الوافدة (البرد) والربو.

لقد أعلماني أنهما كانا يطبقان ما تعلماه في مساعدة ألوف الأولاد ولكن كما سترى فإن المناقشة معهما غدت غير مريحة عندما حاولت أن أصل إلى أمر دقيق معين.

دكتور بالمربيت: إنهم يأتون ومعهم حمى فنقوّمهم. يذهب الولد إلى السرير وفي الصباح التالي ينهض وكأن شيئاً سيئاً لم يكن. كان لدينا حالة تلو حالة.

ستوسل: أنت تقول «المعالجة اليدوية تنجح والإجراءات الطبية تخفق عادة».

دكتور جنيفر بيت: في بعض الحالات هذا صحيح. وما أظنك سوف تجادل الناس أكثر مما يجب حول هذه الأمور.

ستوسل: «هل تخفق الإجراءات الطبية عادة؟»

دكتور بالمربيت: حسب القصص المروية عن ألوف الأطفال الذين استقبلناهم في مكتبنا لنفحصهم تبين أن العديد منهم جاؤوا بعد إخفاقات طبية في معالجتهم.

ستوسل: وأنتم تستطيعون أن تساعدوا هؤلاء الأطفال أكثر مما يستطيع الأطباء التقليديون.

دكتور جنيفر بيت: إن كان معهم خلع في العمود الفقري فأنا من النوع الوحيد من الأطباء الذي يستطيع شفاءهم.

ستوسل: وكم عدد الناس الذين لديهم هذا الخلع.

دكتور جنيفر بيت: نحو 95 بالمئة من الأطفال لديهم خلع في العمود الفقري.

نشر هذان الطبيبان مقولة تدعي: «إن الخلع إن لم يُكشف ويقوّم يكون مصدر تهديد للحياة نفسها».

ستوسل: قد يسقط المريض ميتاً إن لم يعالج؟

دكتور جنيفر بيت: هذا صحيح.

دكتور بالمربيت: هذا صحيح.

ستوسل [وهو يقرأ في كتاباتهما]: «حان الوقت الآن لإخبار زبائنكم أن الخلع يقتل أطفالهم ببطء»

دكتور جنيفر بيت: هذا صحيح.

دكتور بالمربيت: هذا صحيح.

ستوسل: أنتم تخيفون الناس لتحصلوا على النقود.

دكتور جنيفر بيت: أوه لا.

قال لي الدكتور كاتز: «هذا ليس صراعاً بين الأطباء والمعالجين اليدويين، إنه صراع بين العلم والخرافات. لقد صُرف مئات الملايين من الدولارات لعلاج خمسة عشر أو عشرين مليون طفل في العام من أجل «الخلع» الذي لا يوجد عند أي واحد منهم».

لا يوجد عن أي واحد منهم؟ «والخبراء» يتخيلون هذا الخلع؟ يقول العديد من الأطباء إن الخلع غير موجود بين الأمراض ـ وإنك إذا عرضت على معالجين يدويين مختلفين نفس الصورة الشعاعية، فإن هؤلاء المعالجين لا يتفقون على تحديد مكان الخلع. فكرت أن هذا يصلح لاختبار إفشاء وكشف.

ستوسل: تستطيع أن تجد الخلع بالصورة الشعاعية؟

د. بالمربيت: بلا ريب.

ستوسل: حقاً؟

دكتور جنيفر بيت: وإنه يبلغ 97 بالمئة نسبة عالية جداً.

ستوسل: حسناً دعني إذاً أسألك أن تفحص صورة واحدة أو قليلاً من الصور.

دكتور جنيفر بيت: لا أستطيع . ليس لدي مبصار الأشعة.

دكتور بالمربيت: نعم ليس لدينا التجهيزات.

دكتور جنيفر بيت: آسفون أننا لم نستقر بعد.

دكتور بالمربيت: وأيضاً ليس لدينا الوقت لأن علينا أن ..

ستوسل: حسناً هل نترك الصور معكم أم ـ

دكتور جنيفر بيت: حسناً إن الأمر يتعلق في أي نوع من التصوير الشعاعي هي. دعني ألقي نظرة [أعطيتها بعض الصور الشعاعية].

دكتور جنيفر بيت: هذه ليست صور شعاعية جيدة مَنْ صوّرها؟ وتلك، إنك لا تستطيع تحليل تلك.

ستوسل: إن كنت لا تستطيعين قراءة هذه الصور الشعاعية هل نستطيع أن نأخذ بعض صوركم الشعاعية ونريها لمعالجين يدويين آخرين ونرى إن كانوا سيقولون نفس الشيء.

د. جنيفر بيت: نعم.

كنت أتطلع بشغف لعمل ذلك، ولكن عندما توقفت الكاميرا قالا إنهما لن يعطيانا الصور.

وهكذا قمنا بتجربة مختلفة. وجدنا صبياً يدعى بليك يعاني من إنتانات في الأذن. قام برنامج 20/20 مع كاميرا خفية بمرافقة والدة بليك حين أخذت ابنها إلى تسعة معالجين يدويين. لو كانت معالجة الأطفال اليدوية علماً لفكرت بأن المعالجين يتفقون على تشخيص مرض الولد بليك ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

المعالج اليدوي الأول: بليك معه سوء تراصف بين العظمتين الأولى والثانية في رقبته.

المعالج اليدوي الثاني: إنه سوء تراصف في الجانب الأيمن من الرقبة بين العظمتين الأولى والثانية.

المعالج اليدوي الثالث: يوجد ضعف في غدد الأدرينالين.

المعالج اليدوي الرابع: يوجد هرس في القذال (مؤخرة الرأس) إنها قمة العظمة عنده في ـ

حامل الكاميرا المصور: في ماذا؟

المعالج اليدوي الرابع: في القذال عنده وهو العظمة الخلفية من الجمجمة.

إلى ما هنالك. مع أن المعالجين اليدويين وجدوا مشكلات مختلفة فإنهم اتفقوا على شيء واحد: إن بوسعهم مدّ يد العون. ويمكن أن يكون العلاج باهظ الثمن لأنه قد يمتد من عدة أسابيع إلى الحياة بأكملها.

حاولنا مرة ثانية مع ولد آخر يدعى كودي كان لديه التهابات مزمنة في الأذن ودفعت محطة ABC أجوراً ليفحصه ثمانية معالجين يدويين.

مرة ثانية وجد الثمانية مشكلة ولكن ليست نفس المشكلة. قال أحد المعالجين: كودي لديه عصب مضغوط في رقبته. وآخر قال إن رِجْل كودي اليسرى أقصر من اليمنى. ويا للعجب قال آخر إن رجله اليمنى أقصر من اليسرى. اثنان قالا إن المشكلة غذائية. وقال واحد إن كودي يعاني من عوز الزنك بينما قال آخر إن تحسساً غذائياً كان المشكلة. قال المعالج اليدوي لأم كودي «أبعديه عن الذرة وحليب البقر والطحين الأبيض».

وهو لم يفحص أذني كودي على الإطلاق.

من المحزن أن يضيع الناس نقودهم على المعالجة «الطبيعية» وهذا أسوأ حين يضيعون نقودك أنت. لسوء الحظ أن التأمين يغطي العديد من أنواع العلاج هذا وبذا يكون علينا جميعاً أن ندفع من أجل هذه الترهات السحرية. والسياسيون المتأثرون بجمعيات المعالجين اليدويين يجبرون أحياناً شركات التأمين أن تدفع من أجل ذلك. وغالباً ما تدفع شركتا Medicare و Medicaid من أجل ذلك إن ضرائبك العالية والتأمينات العالية تقدم العون المالي لمعالجات مشكوك فيها.

حتى المعالجون اليدويون ينقدون بعض الممارسات التي كشفنا عنها. تقول جمعية المعالجين اليدويين الأمريكية إنه ليس هناك من دليل على أن الخلع يهدد الحياة وأن التعليقات مثل تلك التي ذكرها الزوجان بيتس هي تعليقات غير مسؤولة.

وكان شارلس دوفال من الجمعية الوطنية لطب المعالجة اليدوية وهم جماعة معالجة يدوية أصغر كان أكثر نقداً حين قال إن المعالجين اليدويين في طب الأطفال يجعلون جميع المعالجين اليدويين «يبدون وكأنهم دجالون بلا ريب».

ستوسل: هل يوجد كثير من المال في هذا؟

شارلس دوفال: أوه يوجد كمية كبيرة من المال تُنهب. يريدون من المريض أن يبدأ المعالجة من اليوم الذي خلق فيه ويبقى يعالج إلى الأبد.

فكر بهذا قبل أن تأخذ ابنك إلى معالج يدوي للأطفال.

خرافة: ألعاب الفيديو العنيفة تنشئ أطفالاً عنيفين

حقيقة: ينال الخبراء تغطية تلفازية بادعائهم أن الألعاب تسبب العنف.

إن الخبراء الذين عينوا أنفسهم هم ناجحون تماماً في بعض الأحيان في نشر حججهم إلى حد أن المنبع الأصلي يضيع في التشوش. على هذا النحو غالباً تولد «الحكمة العامة».

لقد كسب عالم النفس والمؤلف ديف غروسمان شهرة من كتابه ذي العنوان المثير «أوقفوا تعليم أولادنا القتل» . إنه يجادل في أن ألعاب الفيديو العنيفة ذات تأثير رهيب على أولادنا. أجرت مقابلة مع غروسمان أسوشيتدبرس وصحف ومحطات تلفازية في كل أنحاء البلاد. وجعل لنفسه مظاهر وطنية بصفته خبيراً في Fox`s O`Reilly Factor وفي Court TV. ووضع حججاً نفسية سهلة على الأسماع مثل: «نحن نعلم الأطفال أن يجعلوا متعتهم مرتبطة بموت الإنسان وعذابه. نحن نكافئهم على قتل الناس» وقد كان غروسمان موضع اعتماد. كان في السابق عالم نفس تخصص في تدريب الجنود على أن يقتلوا بلا تردد. قال لي: «من الصعب جداً أن تجعل الإنسان يقتل. علينا أن ندربه على فعل ذلك». وقال إنه كان يستعين بألعاب الفيديو في عمله في الجيش «هذه الأمور تحاكي القتل». بعد فيض من إطلاق نار مخيف في المدارس

الثانوية تطوع غروسمان ليكون شاهداً خبيراً في دعاوٍ أقامتها أسر الضحايا يطلبون فيها أموالاً من صنّاع ألعاب الفيديو. وقال غروسمان إن صنّاع الألعاب مسؤولون عن أعمال العنف التي يقوم بها الأطفال إنها «تؤثر» لأن ألعاب الفيديو «تبرمج العديد من أولادنا كي يقتلوا».

وذكر غروسمان بادوكاوكينتكي كيف أطلقا النار وهما في الرابعة عشر من العمر. ومايكل كارنيل كيف أطلق النار على ثمانية من رفاق صفه مستوحياً من لعب الفيديو دوم وكويك كما قال غروسمان.

ديفيد غروسمان: هذا الصبي أطلق ثماني طلقات. أوقعت ثماني إصابات على ثمانية أطفال مختلفين. خمسة منهم كانت الطلقات في رؤوسهم. والثلاث الآخرون أصيبوا في القسم الأعلى من الجذع. من أين تعلم هذا؟ من ألعاب الفيديو.

ستوسل: هل يجب أن يدفعوا؟

ديفيد غروسمان: إنهم محرضون على الجريمة. إننا نعلم الأطفال أن يجعلوا متعتهم مرتبطة بموت الإنسان وعذابه. نحن نكافئهم على قتل الناس. ونحن نعلمهم أن يحبوا ذلك.

ستوسل: أين تضع الحد لذلك؟ وماذا عن المصارعة في التلفاز؟

ديفيد غروسمان: المصارعة شيء يستطيع الراشدون أن يروه. ولكن لا ينبغي أن يشاهدها الأطفال.

ستوسل: إن الأطفال هم الذين يشاهدونها على الأغلب.

ديفيد غروسمان: الأطفال يقتل واحدهم الآخر. حين يقلدون ما يحدث في المصارعة.

ستوسل: لا ينبغي أن تعرض المصارعة في التلفاز؟

ديفيد غروسمان: هل ينبغي عرض أفلام البورنو (الإباحية الفاحشة) على التلفاز.

بصراحة أكون سعيداً إذا حُذفت البرامج المزيفة التي تشجع المصارعة من التلفاز، ولكن ليست هذه هي النقطة المهمة. النقطة المهمة هي أن الحكام المستبدين يدعون أن جميع أنواع التسليات لها آثار سيئة ولكن يوجد برهان ضئيل على ذلك.

حين سألت الأولاد عن ادعاءات غروسمان أخذوا بالضحك حول فكرة أن الألعاب أو الأفلام على التلفاز تجعل الأولاد يرتكبون أموراً عنيفة. سألني غروسمان: «من تصدق الأولاد؟ أم كبير الأطباء في الجيش؟»

كان غروسمان متحدثاً بارعاً وبعد أن يسمعه الناس يريدون أن يقوم أحدهم بأخذ المبادرة لحذف الألعاب. ولكن البرهان ليس ما اختلقه غروسمان. إن كبير الأطباء في الجيش في الولايات المتحدة قال حقاً شيئاً عن تأثر الأولاد بالعنف المعروض في التلفاز ودراسات قليلة دعمت ذلك. ولكن دراسات عديدة أخرى لم تدعمه. وانتهى الأمر إلى أن عدداً كبيراً من الناس الذين ذكروا العلاقة ـ ذكروا أن المصدر غروسمان.

حتى مكتب كبير الأطباء في الجيش أخبرنا: «يستعمل المارينز لعبة دوم Doom لتحجير قلوب المجندين الجدد» من أين تعلموا ذلك؟ من غروسمان. اتصلنا هاتفياً بالمارينز. قالوا إن الألعاب لا تستعمل لتحجير قلوب المارينز. قالوا إنهم يستعملون نسخة من البرنامج لتعليمهم التوافق بين العين واليد وتعليمهم العمل الجماعي هذا كل ما في الأمر.

كيف علم أعضاء الكونغرس أن هذه الألعاب تسبب العنف؟ لقد سمعوا إلى شهود «خبراء» أعلن السيناتور كي بيلي هتشيسون (ممثل تكساس): «قال أحد الشهود اليوم أن ألعاب الفيديو تستخدم عمداً تقنيات نفسية لتحجير القلب تستعمل لتعليم الجنود كيف يقتلون في المعركة».

من كان هذا الشاهد الخبير؟ اليوتنانت كولونيل غروسمان ثانية.

هل نقرر نحن الآباء أنفسنا ما نفعله أو ما يفعله أطفالنا أم نجعل الجكومة تعين خبيراً ما مثل ديفيد غروسمان ليقرر عنا؟ لعله مصدر «الحكمة العامة» حول هذا الموضوع أخرج الرفش للتنفقيب عن الحقيقة.

خرافة: الزواج من أقرباء الدرجة الأولى (أولاد العموم وأولاد الخال) أمر سيئ خاصة لإنجاب الأطفال.
حقيقة: تزوجوا وتكاثروا دون خوف.

لقد اعتقدت دوماً أن الزواج من أقرباء الدرجة الأولى هو أمر محرّم بل غير قانوني وخطر إن كنتم تريدون إنجاب الأولاد.

تقول الحكمة العامة: إن الأشخاص البدائيين الذين يعيشون في أماكن منعزلة هم وحدهم الذين يتزوجون من أقربائهم. إذ ينجبون أطفالاً أغبياء. العديد من «الخبراء» السياسيين ورجال الدين يتخذون موقفاً صلباً ضد هذا الزواج. ولقد أقنعوا معظم الناس أن الزواج من أولاد العموم أمر سيئ جداً.

ولكن كما هي الحال غالباً، ما نعرفه هو الخطأ. إن كنت تستلطف إحدى بنات عمومتك ستسعدك قراءة هذه السطور:

كان أهل ألبرت أنشتاين أولاد عم وأنشتاين نفسه تزوج ابنة عمه. كذلك كانت حال تشارلس داروين. كان الأمير ألبرت والملكة فكتوريا أولاد عمومة. وتزوج رودولف جيولياني مدة قصيرة من إحدى قريباته من الدرجة الثانية. عشرون بالمئة من الأزواج في العالم هم أقرباء.

ولكن نصف الولايات في أمريكا يعد الزواج من أقرباء الدرجة الأولى زواجاً غير قانوني. وكما هو الحال في معظم قوانيننا ذرائع هذا المنع واهية.

هذه القوانين تعود إلى مئات من السنين إلى الوقت الذي شنت فيه الكنيسة الكاثوليكية حملة ضد الزواج من الأقرباء لأن الإنجيل في ليفيتيكوس يذكر «لا يدنو أحد منكم من أي نسيب قريب له».

لكن ابن العم ليس «قريباً جداً» اسأل فقط برايان وكارن فاجنر عن ذلك.

أبو برايان وأم كارن كانا أخاً وأختاً لذا أمضى برايان وكارن وقتاً طويلاً سوية مع أسرتيهما. ومع مرور الوقت وقعا في الحب وقررا الزواج. لكن هذا القرار لم يستسغه أسرتاهما وخاصة أسرة كارن.

كارن فاجنر: هتفت أمي إلى والد برايان تقول: «ماذا سنفعل بهذا الموضوع؟».
بات برافيلد (أم كارن): لقد صدمني الأمر نوع ما.
دنينر فاجنر (أبو برايان): قلنا «حسناً عندنا خياران إما أن نقول لا، لا نريد حدوث ذلك» ـ وهذا لم يكن خيارنا أمام عزمهما على فعل ذلك. لقد جاوز كلاهما الواحد والعشرين. قلت أنا. لا نريد خسارتكما.
بات برادفيلد: آخر شيء نريده هو أن نخسر أولادنا.

بارك الأهل ذلك الزواج. ثم أراد برايان وكارن إنجاب الأولاد لكنهما كانا قلقين بشأن التشوهات الولادية وقلقين من إنجاب أولاد أغبياء. والآن لدى برايان وكارين صبيان كل منهما الأول في صفه.

هذا يتعارض مع «الحكمة العامة». روايات مثل رواية Deliverance لجيمس ديكي وأفلام مثل Brighton Beach Memoirs (عندما يعترف أوجين بحبه لابنة عمه نورا ويقال له «ستنجبان طفلاً بتسعة رؤوس!»). تعمل على تأكيد فكرة أن الزواج من أقرباء الدرجة الأولة سينتج أولاداً معاقين. لكن دراسة مدهشة مولتها الجمعية الوطنية للمستشارين في أمور الوراثة National Society of Genetic Counselers كشفت أن الافتراضات حول زواج الأقرباء لا أساس لها. وجدت الدراسة أن عامل الخطورة في التشوهات الولادية أو الإعاقة العقلية كان أكبر بـ 2 - 3 بالمئة عند المتزوجين من أبناء عمومتهم. يبدو هذا سيئاً لكن عوامل خطر أخرى كانت أعلى. فمثلاً العمر رفع الخطورة أكثر بكثير. هناك احتمال 8 - 9 بالمئة أن تنجب امرأة فوق الأربعين طفلا بتشوهات ولادية.

قبل أن نترك خرافة الأقرباء أريد أن أشير إلى عامل خطورة حقيقي. حذرت بات برافيلد أم كارين فاجنر حول موضوع الطلاق. قالت لكارن: «يمكنك أن تطلقي زوجك ولكن لا يمكنك أن تطلقي العائلة بأكملها فحماتك وحموك سيبقيان عمك وعمتك» وجهة نظر الأهالي الخبراء هي دائماً الأفضل.